

بيت التكريس لخدمة الكرازة

يقدم من

سلسلة كتابات الآباء

المسيح

في

رسائل القديس أثناسيوس

إلى سرابيون والى أدلفيوس والى أبكتيتوس

عربها عن اليونانية

دكتور

الأستاذ

نصي عبد الشهيد

صموئيل كامل عبد السيد

ديسمبر 1981م

كيهك 1698ش

تقديم

هذه الرسائل الثلاث للقديس اثناسيوس الرسولي، هي نقطة من بحر كتاباته الواسع، ومعروف أن الموضوع الرئيسي الذي تدور حوله أغلب كتاباته هو شخص الرب يسوع المسيح ابن الله، والدفاع عن ألوهيته في مواجهة روح الضلال الذي ظهر بنوع خاص في بدعة أريوس الذي كان يعلم بأن ابن الله مخلوق.

ونجد في هذه الرسائل إلى سراييون، وادلفيوس، وابكتيتوس، نموذجاً صغيراً لدفاع القديس اثناسيوس عن الوهية المسيح - وهذا بنوع خاص في الرسالة إلى سراييون، - كما نجد فيها شرحاً لحقيقة التجسد الالهي، والايان المستقيم فيما يخص علاقة انسانية المسيح بلاهوته، وهذا نجده بنوع خاص في الرسالتين إلى ادلفيوس وإلى ابكتيتوس.

ويمكن للقارئ أن يدرك عمق كتابات القديس اثناسيوس واتساعها وعمق فكره اللاهوتي، بالرجوع إلى القسم اللاهوتي من كتاب "القديس اثناسيوس الرسولي" للأب متى المسكين الذي صدر منذ عدة شهور.

الترجمة:

ترجمت هذه الرسائل الثلاث عن اللغة اليونانية وهي اللغة الأصلية التي كتب بها القديس اثناسيوس، وقد قام بترجمتها عن اليونانية الأستاذ صموئيل كامل عبد السيد أستاذ اللغة اليونانية، والدكتور نصحي عبد الشهيد.

وقام كل من الدكتور وليم سليمان، والدكتور جورج حبيب، بمراجعة الترجمة العربية قبل الطبع وابداء ملاحظات مفيدة عليها.

مصدر الترجمة:

تمت ترجمة هذه الرسائل عن "مجموعة الآباء باليونانية" المجلد رقم 33، التي نشرتها هيئة "أبو ستوليكيس دياكونياس - الخدمة الرسولية" التابعة للكنيسة اليونانية، أئينا سنة 1963. كما تمت مراجعة ترجمة الرسالتين الموجودة بالمجلد 4 من المجموعة الثانية لآباء نيقية وما بعد نيقية، أما الرسالة إلى سراييون فلم تراجع على ترجمة أخرى لعدم حصولنا على ترجمة انجليزية لها.

وتولت النشر "مؤسسة القديس انطونيوس" لنشر كتابات الآباء.

فليعوض الرب كل من له تعب في المحبة بكل بركة سمائية بحسب غناه في المجد، ببركة صلوات القديس اثناسيوس الرسولي.. ولالهنا كل مجد وسجود وتسبيح الآن وإلى الأبد آمين.

بيت التكريس لخدمة الكرازة

ديسمبر 1981م

كیهك 1698ش

رسالة القديس اثناسيوس

إلى سرابيون

مقدمة

كتب القديس اثناسيوس عدة رسائل إلى الأسقف سرابيون اسقف تيميس (شمال الدلتا) الذي كان معاصراً للقديس اثناسيوس وصديقاً له. ومعظم رسائله المشهورة إلى سرابيون كانت عن الروح القدس. أما هذه الرسالة فهي خاصة بالدفاع عن ألوهية المسيح ضد القائلين أن الابن مخلوق، أي الأريوسيين.

ويظهر من بداية هذه الرسالة انها كانت جزءاً من إحدى الرسائل المرسلة إلى سرابيون عن الروح القدس، ثم فصلت بمفردها لتكون رسالة مستقلة. ففي بعض المخطوطات الأصلية باليونانية وجدت هذه الرسالة كجزء من رسالة اثناسيوس الثانية عن الروح القدس للأسقف سرابيون، وفي مخطوطات أخرى وجدت الرسالة مستقلة بذاتها.

ويرجع تاريخ كتابة هذه الرسالة إلى سنة 359 أو 360م.

ويبين القديس اثناسيوس في هذه الرسالة ببراكين متعددة استحالة أن يكون الابن مخلوقاً، بل هو من "نفس جوهر" الآب، أو "واحد مع الآب في الجوهر" Homousios، وهي الكلمة التي استعملها قانون ايمان مجمع نيقية سنة 325 لتأكيد ألوهية المسيح ابن الله المتجسد.

رسالة أبينا القديس اثناسيوس

إلى الأسقف سرابيون

ضد القائلين بخلقه الابن

(1) كنت أظن أن ما سبق أن كتبتة ليس الا كلمات قليلة، وهذا سبب لي احساساً بالوهن الشديد لكوني عاجزاً عن الكتابة بمثل ما يليق بالانسان أن يقوله عن الروح القدس وضد الذين يكفرون بالروح القدس. وبما أن - بعض الأخوة - كما تقول استحقوا أن يقوموا ايضاً باجتثاث هذه الأمور، لهذا فقد قمت بالكتابة لكي يكون عندهم الاستعداد ايضاً أن يجابوا - بواسطة هذه الكلمات القليلة اولئك الذين يسألون عن الايمان الذي فينا وان يعزلوا الكافرين (عديمي التقوى). وها أنا بضمير صالح أتجاسر بالكتابة في هذا الأمر، حتى إذا كان قد أهمل شيء ما في هذا المجال، فانك تحصل على أجرك كاملاً.

أن الأريوسيين تحولوا هم أنفسهم، وفكروا بنفس طريقة تفكير الصدوقيين، بأنه ليس شيء أعظم منهم أو خارجاً عنهم - انهم أخذوا كتابات الوحي الالهي وفهموها بمفاهيم وظنون بشرية (جسدية). وحينما يسمعون (الكتب المقدسة تقول) أن ابن الآب هو الحكمة والبهاء والكلمة، فانهم اعتادوا أن يقولوا: كيف يمكن أن يكون هذا؟ كأنه يمكن أن يكون غير ذلك، وهذا هو الأمر الذي لا يستطيعون أن يفهموه. فهل حان الوقت لكي يفهموا هذا الأمر فيما يخص وجود كل الأشياء.

فكيف تستطيع الخليفة - وهي غير كائنة البتة - أن تكون (وتوجد)؟، أو كيف يتسنى لتراب الأرض أن يصيغ انساناً عاقلاً؟ أو كيف يستطيع الفاني أن يكون غير فان؟، أو كيف وضع الله اساسات الأرض على البحار، وثبتها على مجاري الأنهار⁽¹⁾؟ وكذلك ينطبق عليهم القول القائل "لنأكل ونشرب لأننا غداً نموت"⁽²⁾ - لكي يهلك معهم ايضاً جنون اريوسيتهم عندما يهلكون.

(2) أن تفكير الأريوسيين فان وفساد، وأما كلمة الحق التي كان يليق أن تكون في فكرهم فهي هكذا: أن كان المصدر (المنبع) والنور، والآب هو الله، فليس من العدل أن يقال أن المصدر (الينبوع) بلا ماء ولا أن يكون النور بلا اشراق، ولا الله بغير كلمة، حتى لا يكون الله غير حكيم أو غير ناطق أو بغير نور. ولهذا السبب نفسه. فكما أن الآب أزلي يلزم ايضاً أن يكون الابن ازلياً كذلك. لأن كل ما نفكر به من جهة الآب فهو بلا شك للابن ايضاً، كما يقول الرب نفسه "كل ما هو للآب فهو لي"⁽³⁾ وكل ما

(1) أنظر مز 24 : 2.

(2) 1 كو 15 : 32.

(3) يو 16 : 15.

هو لي فهو للآب. لذلك فان الآب أزلي، والابن أزلي ايضاً، لأنه بواسطته قد تكونت الدهور (4) فكما أن الآب كائن كذلك فمن الضروري أن يكون الابن ايضاً كائناً، "الكائن على الكل الهاً مباركاً إلى الأبد آمين" (5) كما قال الرسول بولس. وكما انه لم يجر العرف على أن يقال عن الآب انه جاء إلى الوجود لأنه لم يكن موجوداً، هكذا ليس من اللائق أن يقال عن الابن انه جاء إلى الوجود لأنه لم يكن موجوداً - فالآب قادر على كل شيء، والابن كذلك قادر على كل شيء، كما يقول يوحنا "الكائن والذي كان والذي سيكون القادر على كل شيء" (6) الآب نور، والابن شعاع ونور حقيقي. الآب اله حقيقي والابن اله حقيقي، لأنه هكذا كتب يوحنا "ونحن في الحق، في ابنه يسوع المسيح، هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية" (7) فليس هناك شيء على الإطلاق يخص الآب دون أن يخص الابن ايضاً. ولأجل ذلك فإن الابن هو في الآب، والآب هو في الابن. وحيث أن أمور الآب هذه هي في الابن، فان هذه الأمور نفسها ايضاً تدرك في الآب وهكذا يفهم القول "أنا والآب واحد" (8) حيث انه ليس فيه (في الآب) أشياء وفي الابن اشياء غيرها، بل أن ما في الآب هو في الابن. وحيث انك ترى في الابن ما تراه في الآب، لذلك فلتفكر جيداً في قول الرب "من رأيي فقد رأي الآب" (9).

(3) وهكذا اذ قد برهنا على هذه الاشياء، فانه من عدم التقوى أن يقال أن الابن مخلوق. لأنه في تلك الحالة سيكون هناك اضطراب للقول بأن الينبوع المتدفق مخلوق، وان الحكمة مخلوقة، وان الكلمة مخلوق في حين أن كل الاشياء هي خاصة بالآب. ومن هذه الاشياء يمكن للواحد منا أن يتبين عدم صحة ما فهمه مجانين الأريوسية. ولكوننا نحن متشابهين، ولنا شخصيتنا، ونحن من جوهر واحد، لذا فالبشر متشابهون اذ لهم شخصيتهم، ولنا جوهر واحد بعضنا مع بعض. اذ للجميع نفس الجوهر، المائت الفاسد، المتغير، المخلوق من العدم، والملائكة ايضاً لهم نفس الطبيعة فيما بينهم وبين أنفسهم وكذلك ايضاً جميع الخلائق الأخرى بالمثل. وإذا صح هذا الأمر فكيف يبحث المتشككون أن كان هناك أي تشابه بين الابن والمخلوقات، أو أن كانت الاشياء التي تخص الابن يمكن أن توجد بين الاشياء المخلوقة، فكيف تجرؤ الخليقة أن تنطق كلمة الله. ولكن ليت الساقطين والضالين لا يمسون اطلاقاً ما يخص التقوى - فانه ليس بين المخلوقات من هو ضابط الكل، وليس هناك (ضابط الكل) يضبط ويحفظ ضد ضابط آخر، لأن كل واحد منهما يكون خاصاً بالله. لأن "السموات تتحدث بمجد الله" (10) أما

(4) قارن عبرانيين 1 : 2.

(5) رومية 9 : 5.

(6) رؤ 1 : 8.

(7) 1 يو 5 : 20.

(8) يو 10 : 30.

(9) يو 14 : 9.

(10) مز 18 : 2.

"الأرض وملؤها فهي للرب" (11) و"البحر رآه فهرب" (12) وكل خدامه المختصون بالعمل. "عاملون كلمته" (13)، وطائعون أمره. فالابن ضابط الكل، مثل الآب. وهذا هو ما قد كتب وأثبت. ومرة أخرى أيضاً، فإنه لا يوجد بين المخلوقات ما هو غير متغير بطبيعته. لأن بعض الملائكة لم يحفظوا رتبهم الخاصة بهم، فحتى "الكواكب غير طاهرة أمامه" (14). وقد سقط الشيطان من السماء، وحذا آدم حذوه، وكذلك أيضاً كل الذين يعصون الله. أما الابن فهو غير متغير وغير قابل للتحول كآب تماماً. وها هو بولس يرجع بذاكرته إلى ما جاء في المزمور 101 فيقول "وأنت يارب في البدء أسست الأرض والسماوات هي عمل يديك. هي تزول وأنت تدوم، وكلها كثوب ستبلى. وكرداء تطويها فتتغير أما انت فكما انت وسنوك لن تفنى" (15). ومرة أخرى يقول "يسوع المسيح هو هو امساً واليوم والى الأبد" (16).

(4) وايضاً فان الاشياء التي وجدت، لم تكن موجودة ثم بعد ذلك وجدت. لأنه صنع الأرض من العدم. وهو "الذي يدعو الاشياء غير الكائنة كأنها كائنة" (17) وهي مصنوعة ومخلوقة ولذلك كانت هناك ايضاً بداية لوجود هذه الاشياء. لأنه "في البدء خلق الله السماوات والأرض" (18) وكل ما فيها. اذ يقول ايضاً "يدي صنعت هذه الأشياء" (19) والابن ايضاً هو اله كائن على الدوام كآب ايضاً. وهكذا فإن هذا التعليم الذي قبلناه وتسلمناه، فإنه ليس مخلوقاً بل خالقاً. وهو ليس البيت المبني بل هو بانيه، وصانع أعمال الآب. لأنه به صارت الدهور (العالمين) (20) وبغيره لم يتكون أي شيء (21) كما علم الرسول بما جاء في المزمور، انه "من البدء أسس الأرض والسماوات هي عمل يديه" (22) وايضاً فليس شيء من المخلوقات هو بالطبيعة اله. بل أن كل الاشياء المخلوقة قد تكونت، وهذه الاشياء سميت: الواحدة سماء، والأخرى ارضاً والبعض أنوار في السماء وأخرى نجوماً، والبعض بحراً وأغواراً عميقة ودواباً وأخيراً الانسان. وقبل كل هذه المخلوقات، خلق ملائكة ورؤساء ملائكة، وشاروبيم، وقوات، ورتاسات

(11) مز 23 : 1.

(12) مز 113 : 3.

(13) قارن مز 102 : 20.

(14) أيوب 25 : 5.

(15) عب 1 : 10-12.

(16) عب 13 : 8.

(17) رو 4 : 17.

(18) تك 1 : 1.

(19) اشعياء 66 : 2.

(20) عب 1 : 2.

(21) يوحنا 1 : 3.

(22) مز 101 : 10، مز 101 : 26.

وسلاطين، وأرباباً، وفردوساً وهكذا ظل كل واحد من المخلوقات موجوداً. فحتى إذا دعيت آلهة فهي ليست آلهة بالطبيعة، بل عن طريق اشتراكها في الابن. لأنه هكذا قال ايضاً "ان كان قد قال آلهة لأولئك الذين صارت اليهم كلمة الله (23) وعلى هذا الأساس فلكونهم ليسوا آلهة بالطبيعة، فانهم عندما يلتقون، يسمعون قائلاً: "أنا قلت أنكم آلهة، وبنوا العلي كلكم. ولكنكم كأناس تموتون" (24). بعد أن استمع لقولهم "أنت انسان ولست الهاً". أما الابن فهو اله حقيقي كالآب لأنه كائن في الآب والآب كائن في الابن. وهذا ما كتبه يوحنا بحسب ما قد أعلن له. كما يرتل داود "كرسيك يا الله إلى دهر الدهور، صولجان استقامة. صولجان ملكك" (25) واشعيا النبي يصرخ قائلاً: "تعب مصر وتجارة الأثيوبيين، والسبئيون - الرجال ذوو القامة - اليك سيعبرون ويسيرون خلفك وهم مقيدون بالاغلال، وسيسجدون لك لأن الله فيك. لأنك أنت هو اله اسرائيل ولم نكن نعرف" (26) فمن هو اذن الاله الذي يكون الله فيه أن لم يكن هو الابن القائل "أنا في الآب والآب في" (27).

(5) فيما أن هذه الاشياء قد حدثت وكتبت، فمن يجهل أن كل ما هو للآب فهو للابن، حيث أن الابن ليس له شبيه بين المخلوقات، لأن الابن هو من نفس جوهر الآب؟ فانه أن كان هناك شبه بين مخلوق وآخر فانه يكون بينهما قرابة ايضاً اذ هما من نفس الجوهر، هكذا يكون الغريب ايضاً بالنسبة لجوهر الاشياء المخلوقة. وبالمثل ايضاً فان كلمة الآب لا يكون آخر غير كلمة الآب. وطالما أن له كل ما هو للآب فمن المعقول أن يكون من نفس جوهر الآب. ولهذا فإن الآباء ايضاً - اذ ادركوا هذا، اعترفوا في مجمع نيقية، بأن الابن من نفس جوهر الآب، لأن الجوهر المخلوق لا يستطيع أبداً أن يقول "كل ما للآب هو لي" (28) لأن الجوهر المخلوق اذ له بداية تكوين، ليس كائناً بذاته، أما الله فهو كائن منذ الأزل. ولهذا فحيث أن الابن له كل هذه الصفات، وكل ما قيل عن الآب قبل ذلك، هو عن الابن ايضاً فمن الضروري أن يكون جوهر الابن غير مخلوق، بل هو واحد مع الآب في الجوهر. وبالإضافة إلى ذلك فانه بحسب هذا الأمر لا يجوز أن تنسب لأي جوهر مخلوق الخصائص الخاصة بالله. فمن بين تلك الخصائص المتعلقة به، والتي يعرف بها الله: أنه ضابط الكل، وانه الكائن، وانه غير المتغير، والصفات الأخرى التي سبق أن اخبرنا بها، حتى لا يبدو الله ذاته من نفس جوهر المخلوقات، كما يقول الجهلاء انه يمتلك ما يستطيع أن يحصل عليه مثله مثل المخلوقات.

(23) يو 10 : 35.

(24) مز 81 : 6، 7.

(25) مز 44 : 7.

(26) اش 45 : 14، 15.

(27) يوحنا 14 : 10.

(28) يو 16 : 15.

(6) وهكذا يمكن للانسان أن يكشف ويفضح ويدحض تجديف الذين يقولون بأن كلمة الله مخلوق. أن ايماننا بالآب والابن والروح القدس، نابع من قول الابن نفسه للرسول: "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (29) لقد تكلم هكذا حتى نعرف وندرك، تلك الأمور التي سبق الاخبار بها. لذا فمثلما قلنا أن الآباء هم مصدر الابناء، ومع ذلك فهم والدون ولم يقل أحد اننا نحن أنفسنا خلقة آباءنا بل ابناء لهم بالطبيعة، ومن نفس جوهر آباءنا. وهكذا فان كان الله أباً. فمما لا شك فيه انه أب لابن بالطبيعة وهذا الابن هو من نفس جوهره. فابراهيم اذن لم يخلق اسحق بل ولده، اما بصنئيل والياب فلم يلبدا كل الاعمال التي في الخيمة بل صنعها (30). وصانع السفن، والبناء لا يلدان ما يصنعان بل كل واحد منهما يعمل: فالأول منهما يصنع السفينة والثاني يبني المنزل. ومع ذلك فان اسحق لم يصنع يعقوب بل ولده بالطبيعة ومن جوهره. وهكذا كان يعقوب أباً ليهودا واخوته. فكما أن أي شخص يعتبر مجنوناً إذا قال أن المنزل من نفس جوهر الباني الذي بناه، وان السفينة هكذا أيضاً بالنسبة لصانعها، فانه يكون من اللائق والمناسب أن يقال أن كل ابن هو من نفس جوهر أبيه نفسه. فلو كان الآب هكذا مع الابن أيضاً، فمن الضروري أن يكون الابن، ابناً بالطبيعة، وبالحقيقة. وهذا هو الجوهر الواحد مع الآب كما يتضح من أمور كثيرة. ففيما يختص بالمخلوقات يقول "لأنه تكلم فصاروا، لأنه أمر فخلقوا" (31) أما عن الابن فيقول "فاض قلبي بكلام صالح" (32). ودانيال عرف ابن الله، وعرف أعمال الله، ورأى الابن وهو يطفئ الأتون، وقال عن هذه الأعمال "باركي الرب يا جميع أعمال الرب" (33) وقد أحصى جميع المخلوقات ولكنه لم يحص الابن بينها، عارفاً انه (اي الابن) ليس من بين أعمال الرب بل أن هذه الأعمال قد صارت بواسطته، وهو في الآب ممجد ومعظم ومكرم غاية التكريم. اذن كما أن الله ظهر وأعلن بواسطته للعارفين، هكذا أيضاً فان البركة والتسبيح والمجد والقدرة يعترف بها للآب بواسطته وفيه، كي يصير مثل هذا الاعتراف مقبولاً أيضاً، كما تقول الكتب. إذا يتضح ويتبين من هذا كله أن من يقول أن كلمة الله مخلوق، فهو مجدف وعديم التقوى.

(7) ولكن بما انهم يتعللون بالمكتوب في الأمثال "الرب خلقني بداية طريقه لأجل أعماله" (34) ويرددون مع انفسهم قائلين ها قد خلق، وها هو المخلوق. لذلك فمن الضروري أيضاً أن نوضح من هذا انهم يضلون كثيراً غير عالمين هدف الكتاب الالهي. اذن فان كان هو الابن فحاشا أن يقال انه مخلوق. وان كان مخلوقاً فحاشا أن

(29) مت 28 : 19.

(30) خروج 36 : 1.

(31) مز 148 : 5.

(32) مز 45 : 1.

(33) دانيال (تسبحة الثلاث فتية).

(34) ام 8 : 22.

يقال انه ابن. لأننا قد برهنا فيما سبق على انه يوجد اختلاف كبير بين المخلوق والابن. وحيث أن معنى الكمال لا يشمل الخالق والمخلوق بل الأب والابن، فالضرورة تمنع أن يقال انه مخلوق، بل بالحري أن يقال أن الرب ابن. وقد يقول البعض، ألم يكن هذا مكتوباً اذن؟ نعم قد كتب، ولكن من الضروري أن يقال أن الهراطقة، يفكرون تفكيراً سيئاً في الأقوال الحسنة. لأنهم لو فهموا وعرفوا خاصية المسيحية لما قالوا أن رب المجد مخلوق، ولما تعثروا في الكلام الصالح المكتوب. لذلك فأولئك "لم يعرفوا ولم يفهموا" (35) كما هو مكتوب "يسيرون في الظلام" (36) ومع ذلك فمن الضروري أن نتكلم لكي يظهر أن أولئك اغبياء في هذا، ولا نسكت عن اقامة الدليل ضد كفرهم حتى وان تراجعوا عنه. فالخاصية التي تميز الايمان بالمسيح هي هذه: أن ابن الله هو كلمة الله لأن "في البدء كان الكلمة.. وكان الكلمة الله" (37) وهو حكمة الأب وقوته "لأن المسيح هو قوة الله وحكمة الله" (38) هذا الذي صار انساناً في آخر الدهور لأجل خلاصنا، لأن يوحنا نفسه الذي قال "في البدء كان الكلمة" ما لبث بعد قليل أن قال "والكلمة صار جسداً" (39) هذا القول يعني انه قد صار انساناً. والرب ايضاً يقول عن نفسه "لماذا تطلبون أن تقتلوني وانا الإنسان الذي قد كلمكم بالحق" (40) وبولس الذي تعلم منه اعتاد أن يقول "اله واحد ووسيط واحد بين الله والناس، الإنسان المسيح يسوع" (41) فالإنسان الذي كون الأجناس البشرية ودبرها، وطرد الموت وأبطله عنا، يجلس الآن عن يمين الأب وهو كائن في الأب والآب كائن فيه، كما كان دائماً وسيكون إلى الأبد.

(8) أن هذه الخاصية قد وصلتنا من الرسل بواسطة الآباء، لذلك يجب أن نختبر ونميز ما جاء بالكتاب، فانه أحياناً يتكلم عن الوهية الكلمة وأحياناً اخرى عن انسانيته، لدرجة أن الإنسان يمكن أن يضل إذا لم يفهم الخاصيتين (الوهيته وانسانيته)، مثلما حدث للأريوسيين. ومن أجل ذلك، كما اننا نعرف الكلمة نفسه، ونعرف أن "به كان كل شيء وبغيره لم يكن شيء واحد مما كان" (42) وايضاً "بكلمة الرب تأسست السموات" (43) وايضاً "ارسل كلمته وشفى الكل" (44) ولأننا نعرف انه هو الحكمة، نعلم أن الله

(35) مز 81 : 5.

(36) يو 12 : 35.

(37) يو 1 : 1.

(38) 1كو 1 : 24.

(39) يو 1 : 14.

(40) يو 8 : 40.

(41) 1تيمو 2 : 5.

(42) يو 1 : 3.

(43) مز 32 : 6.

(44) أنظر مز 106 : 20.

أسس الأرض بالحكمة (45) وصنع الآب كل شيء بحكمة (46) ولأننا نعرف انه اله قد آما انه هو المسيح، لأن "عرشك" "يا الله" كما يرتل داود، "الى دهر الدهور، صولجان استقامة صولجان ملكك أحببت البر وابغضت الاثم من اجل ذلك مسحك الله الهك بدهن الابتهاج أكثر من شركائك" (47). وفي اشعياء يقول عن نفسه، "روح الرب عليّ لأنه مسحني" (48) أما بطرس فقد اعترف قائلاً: "انت هو المسيح ابن الله الحي" (49). وهكذا لأننا نعرف انه صار انساناً، فاننا لا ننكر الأقوال المتعلقة بانسانيته ألا وهي الجوع والعطش والضرب والبكاء والنوم وفي النهاية قبول الموت من أجلنا على الصليب. لأن كل هذه الاشياء قد كتبت عنه.

وهكذا ايضاً فان الكتاب لم يخف، بل قال أن كلمة "خلق" تناسب البشر (ما هو بشري) لأننا نحن البشر مخلوقون ومصنوعون. ورغم اننا سمعنا انه جاع ونام وضرب الا اننا لا ننكر الوهيته، نحن الذين نسمع كلمة "خلق"، بل نتبع ما يتفق مع تذكرنا لله لأن الله كائن أما الإنسان فقد خلق. لأن الخلقة تخص الناس مثلما قيل من قبل عن الجوع وما شابهه.

(9) ولأن ذلك الذي يقال عنه انه صالح وجميل يعتبر لديهم قبيحاً وردئياً، أقول بتأكيد انه حسن انه أخذ في اعتباره عندما قال "أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد، ولا الملائكة ولا الابن" (50) لأن اولئك الذين يفكرون في القول "ولا الابن"، يعنون به أن الابن مخلوق. وحاشا أن يكون هكذا. لأنه عندما يقول "خلقتني" فانه يتكلم بشرياً، وعندما يقول "ولا الابن" فانه يتكلم عن المعرفة البشرية. وهناك سبب معقول يجعله يقول مثل هذا القول. اذ بما انه قد صار انساناً، كما هو مكتوب، فانه يكون مشابهاً للبشرية تماماً في عدم المعرفة، كما في الجوع وغيره من الصفات (البشرية) (لأنهم لا يعرفون أن لم يسمعوا ويتعلموا).

ومن أجل هذا ايضاً، فانه اذ قد صار انساناً أظهر جهل البشر في نفسه، أولاً لكي يظهر أن له جسداً بشرياً حقاً وثانياً، لكي - عندما يكون له في جسده جهل البشر، يقدم للآب جنساً بشرياً مفتدى من بين الجميع، وظاهراً وكاملاً ومقدساً.

فهل لا يزال يوجد لدى الأريوسيين أي ادعاء يدعون به. فلماذا اذن يتهامسون ويدمدمون عندما يفكرون في هذا الأمر. لقد ادينوا لأنهم لا يعرفون "الرب خلقتني.. لأجل اعماله" وظهروا بأنهم لا يفهمون "أما ذلك اليوم فلا يعلم به أحد ولا الملائكة ولا

(45) ام 3 : 19.

(46) مز 103 : 24.

(47) مز 44 : 7، 8.

(48) اش 61 : 1.

(49) مت 16 : 16.

(50) مر 13 : 32.

الابن".

لأن ذلك مثل من يقول أن "خلق" الإنسان تعني، أن الإنسان قد تكون وخلق. أما ذلك الذي يقول "أنا والآب واحد" ⁽⁵¹⁾ وايضاً "من رأني قد رأى الآب" ⁽⁵²⁾ و"أنا في الآب والآب في" ⁽⁵³⁾ فهذه الأقوال تعني الأزلية والوحدة مع الآب في الجوهر.

ولذلك فإن من يقول "لا أحد يعرف ولا الابن" فإنه يقول هذا كأنسان صار مشابهاً للبشر تماماً في عدم المعرفة. أما من يقول "لا أحد يعرف الآب الابن، ولا أحد يعرف الابن الا الآب" ⁽⁵⁴⁾ فإنه بالأحرى يعرف الأشياء المخلوقة أكثر بكثير فإن تلاميذه قالوا للرب في انجيل يوحنا "الآن نعلم أنك تعلم كل الأشياء" ⁽⁵⁵⁾ اذن فمن الواضح انه لا يوجد شيء لا يعرفه ذلك الذي هو الكلمة الذي به صار كل شيء. وذلك اليوم "هو حتماً من بين كل تلك الأشياء التي تصير به، وهكذا فإن الأريوسيين يتمزقون إرباً ربوات المرات بسبب جهالتهم.

(51) يو 10 : 30.

(52) يو 14 : 9.

(53) يو 14 : 10.

(54) مت 11 : 27.

(55) يو 16 : 30.

رسالة القديس اثناسيوس

إلى أدلفيوس

مقدمة

كتب القديس اثناسيوس هذه الرسالة إلى أدلفيوس المعترف اسقف اونوفيس سنة 370 م. وأدلفيوس اسقف مصرى كان الارويسيون قد نفوه قبل ذلك إلى صعيد مصر ولذلك يسمى المعترف ورسالة اثناسيوس هذه إلى أدلفيوس هي رد على خطاب ارسله أدلفيوس إلى اثناسيوس يذكر فيه اتهام الارويسيين للمستقيمي الرأي الذين يعترفون بايمان مجمع نيقية، بعبادة المخلوق.

ويقرر القديس اثناسيوس اننا عبادتنا للمسيح، لا نعبد مخلوقاً، ولكننا نعبد كلمة الله المتجسد، وانه لا يمكن الفصل بين انسانية المسيح وبين الوهيته.

كما يوضح القديس اثناسيوس الهدف من التجسد قائلاً "وان كان الله قد ارسل ابنه مولوداً من ارمأة، فان هذا الأمر لا يسبب لنا عاراً بل على العكس مجداً ونعمة عظيمة. لأنه قد صار انساناً لكي يؤلّهنّا في ذاته، وولد من عذراء كي ينقل إلى نفسه جنسنا الضال، ولكي نصيح بذلك جنساً مقدساً ونصير شركاء الطبيعة الإلهية - كما كتب بطرس المطوب".

رسالة أبينا القديس اثناسيوس

إلى

ادلفيوس المعترف

ضد الأريوسيين

(1) لقد قرأنا ما قد كتبته قدسك، ونوافق حقاً على تفواك من نحو المسيح. وقبل كل شيء مجدنا الله الذي أعطاك هذه النعمة، حتى يكون لك ايضاً فكر مستقيم، وحتى لا تجهل حيل الشيطان، بقدر المستطاع.

اننا دهشنا لسوء نية الهرطقة، ونحن نرى كيف قد سقطوا إلى هوة الكفر (عدم التقوى) حتى هذه الدرجة حتى انهم لم يعودوا بعد يحفظون بصائرهم، بل قد فسد ذهنهم من كل ناحية.

ولكن هذه المحاولة انما هي من ايحاء الشيطان، ومحاكاة لليهود المخالفين للشرعية. وكما أن هؤلاء (اليهود) حينما نالوا التوبيخ من كل ناحية، ظلوا يخترعون ذرائعاً لضرر أنفسهم، لكي ينكروا الرب ويجلبوا على أنفسهم ما سبق أن تنبأ به الانبياء، فبنفس الطريقة فان هؤلاء الناس، اذ يرون أنفسهم محرومين من كل ناحية، ولأنهم رأوا أن هرطقتهم قد صارت كريهة جداً لدى الجميع فقد صاروا "مخترعين شروراً" لكي يظلوا بالحقيقة أعداء للمسيح، اذ انهم يكفون في محارباتهم ضد الحق.

ما هو موافق لتقليد الكنيسة، ومناسب للتقوى نحو الرب، بتوبيخك فمن اين نبع لهم اذن هذا الشر ايضاً؟ وكيف تجاسروا على أن ينطقوا بهذا التجديف الجديد ضد المخلص بمثل هذه الجسارة الكلية؟ ولكن كما يبدو، فان الرجل المجدف هو شرير، ومرفوض حقاً من جهة الايمان⁽¹⁾.

لانهم قبل ذلك بينما هم ينكرون الوهية ابن الله الوحيد الجنس، تظاهروا بانهم يعترفون بمجيئه في الجسد. اما الآن، فانهم تراجعوا تدريجياً، وسقطوا في فكرهم الوهمي، وصاروا كافرين من جميع النواحي، حتى انهم لايعترفون به بانه اله، ولايؤمنون بانه قد صار انساناً. لانهم لو كانوا يؤمنون بهذا، لما نطقوا بمثل تلك الاقوال التي كتبت قدسك ضدهم بخصوصها

(2) لذلك فانت ايها الحبيب، والمشتاق إليه جداً بالحق، قد صنعت ما هو موافق لتقليد الكنيسة، ومناسب للتقوى نحو الرب، بتوبيخك ونصحك وتعنيفك لمثل هؤلاء. ولكن حيث انهم، محركون من ابينهم الشيطان، فانهم "لايعرفون ولايفهمون" كما هو

مكتوب بل "في الظلمة يتمشون"⁽²⁾.

فليتعلموا من قدسك أن ضلال فكرهم هذا انما هو خاص بالفالنتينوس وماركيون وماني^(*) فالبعض من هؤلاء استبدلوا (في الشرح) المظهر بالحقيقة، والبعض الآخر قسموا ما لا ينقسم. وأنكروا حقيقة أن "الكلمة صار جسداً وسكن فينا"⁽³⁾.

وحيث انهم يفكرون بأفكار هؤلاء الناس، فلماذا اذن لا يكونون ورثة لأسمائهم ايضاً؟ فما داموا يعتقدون آرائهم الخاطئة، فمن المعقول أن يتخذوا اسماؤهم ايضاً، لكي يطلق عليهم من الآن فصاعداً: فالنتينيون، وماركيونيون ومانيون. وربما إذا كان الأمر كذلك، فبسبب احساسهم بالعار من نتانة اسماء (هؤلاء)، فربما يستطيعون أن يدركوا مدى الكفر (عدم التقوى) الذي سقطوا فيه. ويكون من حقنا ألا نرد عليهم اطلاقاً بحسب التحذير الرسولي "الرجل المبتدع يعد الانذار مرة ومرة ثانية، أعرض عنه، عالماً أن مثل هذا قد انحرف وهو يخطئ محكوماً عليه من نفسه"⁽⁴⁾ وبنوع خاص ما يقوله النبي عن مثل هؤلاء "لأن الغبي (اللئيم) يتحدث تفاهات، وقلبه يتفكر في أمور باطلة"⁽⁵⁾.

(2) مز 81 : 5.

(*) فالنتينوس مبتدع من الغنوسيين (أصحاب مذهب الخلاص بالمعرفة) ظهر في القرن الثاني الميلادي، وكان يعلم بوجود عدة كائنات سماوية وسيطة بين الله وبين يسوع، يسميها أيونات أي عصور - يبلغ عددها ثلاثون كائناً - وان الكلمة هو رابع هذه الأيونات، وأحد هذه الأيونات هو المسيح السماوي وهو غير الكلمة، وغير المسيح الذي ظهر من شعب اسرائيل، وان المسيح شخص آخر غير يسوع، وان جسد يسوع ليس جسداً طبيعياً حقيقياً بل جسم خيالي أو ظاهري. وقد حاول فالنتينوس نشر تعاليمه في روما حوالي سنة 140م ولكنه لم ينجح وقد حرمته الكنيسة. وواضح من تعاليمه انه ينكر حقيقة أن "الكلمة صار جسداً ويسكن فينا. كما يقول القديس اثناسيوس.

ماركيون: مبتدع ظهر حوالي منتصف القرن الثاني في روما، وأصله من البنطس في آسيا الصغرى، وكان يعلم أن اله العهد القديم ليس هو اله العهد الجديد - واله العهد القديم اله العدل واله العهد الجديد هو اله الصلاح والنعمة، وان المسيحية لا علاقة لها باعلان العهد القديم، بل قد هبطت فجأة من السماء، وان المسيح لم يولد من العذراء ولم يولد بالمرّة بل نزل فجأة من السماء في مدينة كفر ناحوم في السنة الخامسة عشر من سلطنة طيباريوس قيصر، وظهر كملن للاله الصالح الذي أرسله. وان المسيح ليس هو الماسيا الذي تنبأ عنه العهد القديم. وان جسد المسيح ليس جسداً حقيقياً طبيعياً بل هو مجرد مظهر، وان المسيح لم يمت حقيقة. وكان يعتقد أن المادة شريرة، وكان يحرم الزواج. ورفض وحي أسفار العهد القديم وعمل له قانوناً خاصاً لأسفار الكتاب يحوي 11 سفرًا فقط من العهد الجديد: عبارة عن انجيل لوقا بعد أن شوّهه و10 من رسائل بولس الرسول. وقد حرمته الكنيسة وحرمت تعاليمه وقاومتها بشدة منذ البداية.

ماني: مبتدع ظهر في القرن الثالث من بلاد فارس، ادعى الوحي وقال انه "رسول يسوع المسيح" وانه هو الروح القدس "البارقليط" الذي وعد به المسيح. وكان يعلم بأن المادة شريرة وان الإنسان مخلوق على صورة الشيطان، وان الجسد شرير في جوهره والزواج نجس. وأنكر أن جسد المسيح حقيقي، وقال أن الام المسيح على الصليب وهمية وليست الام حقيقية، وان المسيح ليس له دم. وكان لا يؤمن بالكتاب المقدس بعهديه كمصدر للتعليم بل ببعض الأناجيل المزورة وبعض الكتب الأخرى من تأليفه هو. وقد حرمت الكنيسة بدعة ماني وأتباعه في عدة مجامع منذ القرن الرابع فصاعداً.

(3) يو 1 : 14.

(4) تيطس 3 : 10 و11.

(5) اش 32 : 6.

ولكن بما انهم مثل زعيمهم (أريوس)، يجولون كأسود ملتسمين من بيتلعونه (6) من بين المستقيمي القلوب - لأجل ذلك صار لزاماً علينا، أن نكتب لقدسك ثانية، حتى أن الاخوة بعد أن يتعلموا ثانية من نصائحك، يستطيعون أن يدينوا أكثر، تعاليم هؤلاء الناس الباطلة.

(3) نحن لا نعبد مخلوقاً، حاشا! لأن مثل هذا الضلال انما هو خاص بالوثنيين والأريوسيين. ولكننا نعبد رب الخليقة المتجسد، كلمة الله.

لأنه أن كان الجسد نفسه، في حد ذاته هو جزء من عالم المخلوقات، ولكنه صار جسد الله - فنحن من ناحية، لا نفصل الجسد عن الكلمة، ونعبد مثل هذا الجسد في حد ذاته، ومن ناحية أخرى، عندما نريد أن نعبد الكلمة، فاننا لا نفصل الكلمة عن الجسد، ولكننا - كما سبق أن قلنا - اذ نعرف أن "الكلمة قد صار جسداً" فاننا نعرفه كاله ايضاً، بعد أن صار في الجسد. وتبعاً لذلك، فمن هو أحق إلى هذه الدرجة حتى يقول للرب "انفصل عن الجسد لكي أعبدك؟ أو من هو عديم التقوى لدرجة أن يقول له مع اليهود الحمقى "لماذا وأنت انسان تجعل نفسك الهاً" (7) ولكن الأبرص لم يكن من هذا النوع، فانه عبد الله في الجسد، وعرف انه الله قائلاً "يارب، أن اردت تقدر أن تطهرني" (8) فهو من ناحية لم يظن أن كلمة الله مخلوق، بسبب الجسد، ومن الناحية الأخرى لم يحتقر الجسد الذي كان يلبسه (الكلمة) بسبب أن الكلمة هو خالق الخليقة. ولكنه عبد خالق الكون كما في هيكل مخلوق، وهكذا تطهر. وهكذا ايضاً المرأة نازفة الدم لأنها آمنت، فقد اكتفت بلمس هذب ثوبه وشفيت (9). والبحر المضطرب بأمواجه، سمع الكلمة المتجسد، فكفت العاصفة (10) والأعمى منذ ولادته قد شفي بتقلة الجسد من الكلمة (11) وما هو أعظم وأكثر غرابة (لأن هذا ربما يكون قد أعثر أكثر الناس كفرةً) فانه حينما علق الرب على الصليب فعلاً (لأن الجسد كان جسده، وكان الكلمة في الجسد)، فقد أظلمت الشمس والأرض تزلزلت، والصخور تشققت، وانشق حجاب الهيكل (12)، وقام كثير من أجساد القديسين (13).

(4) أن هذه الاشياء قد حدثت، ولم يجادل احد من اولئك - مثلما يتجاسر الأريوسيون الآن أن يجادلوا فيما إذا كان يجب على الإنسان أن يؤمن بالكلمة المتجسد.

(6) قارن 1بط 5 : 8.

(7) يو 10 : 33.

(8) مت 8 : 3.

(9) مت 9 : 20-22.

(10) مت 8 : 11.

(11) يو 9 : 6.

(12) لو 23 : 45.

(13) مت 27 : 51، 52.

بل عند رؤيتهم اياه انساناً عرفوا انه هو الذي خلقهم. وحينما سمعوا صوتاً بشرياً، لم يكونوا يقولون أن الكلمة مخلوق بسبب بشريته. بل بالعكس كانوا يرتعدون، ولم يعرفوا شيئاً أقل من انه كان ينطق به من هيكل مقدس. فكيف اذن لا يخاف عديمو التقوى، لئلا كما انهم لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم، ربما يسلمهم إلى ذهن مرفوض ليفعلوا تلك الاشياء التي لا تليق⁽¹⁴⁾ لأن الخليقة لا تعبد المخلوق، وايضاً هي لا ترفض أن تعبد ربها بسبب الجسد.

ولكنها كانت ترى خالقها في الجسد، "وانحنى كل ركبة" باسم يسوع المسيح، حقاً وستتحنى (كل ركبة) ممن في السموات ومن على الأرض ومن تحت الأرض وسيعترف كل لسان - حتى لو كان هذا لا يروق للأريوسيين - أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الأب⁽¹⁵⁾ لأن الجسد (لم يجلب) عار للكلمة، حاشا. بل بالأحرى فإن الجسد نفسه قد تمجد بالكلمة.

والابن الكائن في صورة الله، أخذ صورة عبد، وهذا لم ينقص من الوهيته، بل بالأحرى قد صار مخلصاً لكل جسد ولكل خليقة.

وان كان الله قد ارسل ابنه مولوداً من امرأة، فان هذا الأمر لا يسبب لنا عاراً بل على العكس مجداً ونعمة عظيمة. لأنه قد صار انساناً لكي يؤلّهنّا في ذاته. وقد صار من امرأة وولد من عذراء كي ينقل إلى نفسه جنسنا الضال، ولكي نصبح بذلك جنساً مقدساً، ونصير شركاء الطبيعة الالهية⁽¹⁶⁾ كما كتب بطرس المطوب. وما "كان الناموس اذ انه كان (الناموس) ضعيف بواسطة الجسد، فان الله اذ ارسل ابنه في شبه جسد الخطية، ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد"⁽¹⁷⁾.

(5) اذن، فالكلمة أخذ جسداً، لأجل تحرير كل البشر، ولإقامة الجميع من بين الأموات، ولأجل فداء الخطايا فأولئك الذين يستخفون بهذا الأمر (الجسد)، أو الذين بسبب الجسد يتهمون ابن الله بأنه مصنوع أو مخلوق، كيف لا يظهر انهم جاحدون للنعمة ومستحقون لكل اشمئزاز ونفور؟ فكأنهم بذلك يصرخون لله قائلين "لا ترسل ابنك الوحيد الجنس في الجسد، ولا تجعله يتخذ جسداً من عذراء لكي لا يفندينا من الموت ومن الخطيئة، ولا نريده أن يصير في الجسد لكي لا يقاسي الموت من أجلنا، ولا نرغب في أن يصير الكلمة جسداً، لئلا يصير بهذا الجسد وسيطاً لنا للدخول اليك فنسكن في المنازل التي في السموات. فلتغلق أبواب السموات، لكيلا يكرس لنا كلمتك الطريق في السموات بواسطة الحجاب الذي هو جسده. هذه هي الأقوال التي يتفوه بها أولئك الناس بجرأة شيطانية، وهي ادعاءات اخترعوها لأنفسهم نابعة من حقدهم. لأن

(14) انظر رو 1 : 28.

(15) في 2 : 10، 11.

(16) 2بطرس 1 : 4.

(17) رو 8 : 3.

الذين يرفضون أن يعبدوا الكلمة الصائر جسداً، هم جاحدون لنعمة صيرورته انساناً. والذين يفصلون الكلمة عن الجسد، لا يحسبون انه قد حدث فداء واحد للخطيئة، ولا يحسبون انه قد تم اندحار للموت.

ولكن على وجه العموم، اين سيجد الكافرون، الجسد الذي اتخذه المخلص، منفصلاً عنه، حتى يتجاسروا أن يقولوا ايضاً: اننا لا نعبد الرب متحداً بالجسد بل نفصل الجسد ونعبد الكلمة وحده؟

لقد رأى اسطفانوس المغبوط، الرب واقفاً في السموات، عن يمين (الله) (18)، والملائكة قالوا للتلاميذ "سيأتي هكذا بنفس الطريقة التي رأيتموه بها منطلقاً إلى السماء" (19) والرب نفسه يقول مخاطباً الأب "أريد أن يكونوا هم ايضاً معي على الدوام حيث أكون أنا" (20) وفي الواقع، أن كان الجسد غير منفصل عن الكلمة ألا يكون من اللازم، أن يتخلى هؤلاء الناس عن ضلالهم، ومن ثم يعبدون الأب باسم ربنا يسوع المسيح، أو، أن كانوا لا يعبدون ويخدمون الكلمة الذي جاء في الجسد، فينبغي أن يطرحوا خارجاً من كل ناحية، وان لا يحسبوا فيما بعد مسيحيين بل بالأحرى يعدوا بين اليهود.

(6) هذا هو اذن، كما شرحنا قبلاً، هوس (جنون) أو جسارة اولئك الناس. اما ايماننا فمستقيم وهو نابع من تعليم الرسل وتقليد الآباء ويؤكد كل من العهد الجديد والعهد القديم، حيث يقول الانبياء "ارسل كلمتك وحقك" (21) "هوذا العذراء ستحبل وتلد ابناً وسيدعون اسمه عمانوئيل" (22) "الذي تفسيره الله معنا" (23) ولكن ماذا يعني هذا أن لم يكن أن الله قد جاء في الجسد؟

فان التقليد الرسولي يعلم في قول المغبوط بطرس "اذ قد تألم المسيح لأجلنا بالجسد" (24) بينما يكتب بولس "متوقعين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح. الذي بذل نفسه لأجلنا لكي يفدينا من كل اثم ويظهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في أعمال حسنة" (25) فكيف اذن قد بذل نفسه لأجلنا، أن لم يكن لابساً جسداً؟ لأنه بتقديمه هذا الجسد قد بذل نفسه لأجلنا، لكي، بقبوله الموت في هذا

(18) أع 7 : 55.

(19) أع 1 : 11.

(20) قارن يو 17 : 24.

(21) مز 42 : 3.

(22) أش 7 : 14.

(23) مت 1 : 23.

(24) 1بط 4 : 1.

(25) تي 2 : 13، 14.

الجسد، يبيد ذلك الذي له سلطان الموت أي ابليس (26). ولذلك فإننا نقدم الشكر على الدوام باسم يسوع المسيح، ولا نبطل النعمة التي صارت الينا بواسطته، فان مجيء المخلص متجسداً قد صار فدية للموت وخلصاً لكل الخليقة.

لذا ايها الحبيب والمشتاق إليه جداً، فليضع محبو الرب هذه الأقوال في عقولهم، أما أولئك الذين يتمثلون بسلوك يهودا، ويتخلون عن الرب ليكونوا مع قيافا، فليتهم يتعلمون من هذه الأقوال، أن ارادوا يستحون، وليعلموا، انه بعبادة الرب في الجسد، فإننا لا نعبد مخلوقاً، بل كما قلنا قبلاً، فإننا نعبد الخالق الذي لبس الجسد المخلوق.

(7) ولكننا نود من قدسك أن تستقصي منهم عن هذا الأمر. فان اسرائيل حينما كان يصدر إليه الأمر أن يصعد إلى اورشليم لكي يسجد في هيكل الرب، حيث يوجد التابوت، وفوقه كاروبا المجد مظللين الغطاء، فهل كانوا يتصرفون حسناً ام العكس؟ فان كانوا يفعلون خطأ، فأبي عقاب كان يتعرض له الذين يزدرون بهذا الناموس؟ لأنه مكتوب أن الذي استهان بالأمر ولم يصعد "يقطع ذلك الإنسان من الشعب" (27) وان كانوا يصنعون صواباً، وكانوا بهذا مقبولين لدى الله، أليس الأريوسيين وهم أنجس وأبشع من كل هرطقة - مستحقين - للهلاك عدة مرات، لأنهم بينما يقبلون الشعب القديم ويوافقونه في الكرامة التي كان يقدمها للهيكلي، فانهم لا يريدون أن يعبدوا الرب الذي هو في الجسد كما في هيكل. وبالرغم من ذلك فان الهيكل القديم الذي كان مشيداً من حجارة ومن ذهب لم يكن الا مجرد ظل. ولكن عندما جاءت الحقيقة، بطل المثال منذ ذلك الحين، ولم يبق فيه حجر لم ينقض، حسب النطق الرباني.

فلما رأى (الشعب القديم) الهيكل من حجارة لم يظنوا أن الرب الذي تحدث في نفس الهيكل، مخلوق، ولم يزدروا بالهيكل ولم يعتزلوا بعيداً للعبادة. ولكنهم جاءوا إلى الهيكل - بحسب الشريعة - وخدموا الله الذي نطق بوحية من الهيكل. وان كان الأمر هكذا فكيف لا ينبغي أن يعبد جسد الرب، الكلي القداسة والكلي الوقار حقاً، والذي بشر به رئيس الملائكة جبرائيل، لكي يتم تشكيل الجسد من الروح القدس ويصير رداء للكلمة.

فالكلمة بمد يده الجسدية أقام (حماة سمعان) التي اخذتها الحمى الشديدة (28) وبصراخه بصوت بشري اقام لعازر من بين الأموات (29) ومرة أخرى حينما بسط ذراعيه على الصليب، فقد قهر رئيس سلطان الهواء، الذي يعمل الآن في ابناء المعصية (30)، وجعل لنا الطريق إلى السموات نقياً (ومفتوحاً).

(26) عب 2 : 14.

(27) قارن لاويين 17 : 9.

(28) لو 4 : 39.

(29) يو 11 : 43.

(30) أف 2 : 2.

(8) اذن، فالذي يهين الهيكل، فانما يهين الرب في الهيكل، والذي يفصل الكلمة عن الجسد، انما يبطل النعمة المعطاة لنا في جسده. أما المتهوسون بالأريوسية، الشديدي الكفر، فلا تدعهم يحسبون انه - بما أن الجسد مخلوق، يكون الكلمة مخلوقاً ايضاً، وكذلك لا تدعهم ايضاً يحتقرون جسد الكلمة، بسبب أن الكلمة ليس مخلوقاً لأن شرهم (حقدهم) يثير الدهشة، اذ انهم يبلبلون الأفكار ويخلطون كل شيء ويخترعون ادعاءات وذلك كله فقط لكي يعدوا الخالق بين المخلوقات.

ولكن فليسمعوا، لأنه لو أن الكلمة كان مخلوقاً، لما اتخذ جسداً مخلوقاً لكي يهبه الحياة لأنه أية معونة تحصل عليها المخلوقات من مخلوق هو نفسه يحتاج إلى الخلاص؟ ولكن حيث أن الكلمة خالق، فقد تم خلفة المخلوقات.

لذلك فانه عند اكتمال الدهور ايضاً فقد لبس هو نفسه ما هو مخلوق (اي الجسد) لكي يجده بنفسه مرة أخرى كخالق، ولكي يستطيع أن يقيمه.

لا يستطيع مخلوق أن يخلص مخلوقاً على الاطلاق، كما أن المخلوقات لم تخلق بواسطة مخلوق، وذلك أن لم يكن الكلمة هو الخالق (كما يدعي الأريوسيون). ولذلك دعهم لا يفترون على الكتب الالهية ولا تدعهم يسيئون إلى المستقيمين من الاخوة. ولكن أن كانوا يرغبون، فليغيروا فكرهم هم ايضاً ولا يعودوا بعد يعبدون المخلوق دون الله خالق كل الاشياء⁽³¹⁾.

اما أن كانوا يريدون أن يتشبثوا بتجديفاتهم فليشبعوا بها وحدهم، وليصروا على اسنانهم مثل ابهيم الشيطان، لأن ايمان الكنيسة الجامعة يقر بأن كلمة الله هو خالق كل الاشياء، ومبدعها، ونحن نعرف انه "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله"⁽³²⁾ فاننا نعبد ذلك الذي صار هو نفسه ايضاً انساناً لأجل خلاصنا، لا كما لو كان هذا الذي صار جسداً هو مساو للجسد بالمثل، بل (نعبده) كسيد آخذاً صورة عبد، وكصانع وخالق صائراً في مخلوق أي (الجسد) لكي بعد أن يحرر به كل الاشياء، يقرب العالم إلى الآب، ويصنع سلاماً لكل المخلوقات سواء التي في السموات أو التي على الأرض. ولذلك فنحن نعترف ايضاً بألوهيته التي من الآب.

ونعبد حضوره المتجسد، حتى ولو مزق الأريوسيون المجانين انفسهم.

سلم على كل من يحبون ربنا يسوع المسيح.. ونرجو أن تكون بصحة جيدة، وان تذكرنا امام الرب ايها المحبوب والمشتاق إليه جداً بالحق. وان احتاج الأمر فلتقرأ هذه الرسالة لهيراكاس القسيس.

(31) انظر رو 1 : 25.

(32) يو 1 : 1.

رسالة القديس اثناسيوس

إلى ابكتيتوس

مقدمة

كتب القديس اثناسيوس هذه الرسالة إلى ابكتيتوس اسقف كورنثوس سنة 369م، وذلك رداً على مذكرات كان ابكتيتوس قد ارسلها إلى اثناسيوس تحوي عدة أسئلة اثيرت في ابرشيته من مجموعات أريوسية وغيرها لها آراء خيالية (دوستيه) من جهة التجسد، وعلاقة جسد المسيح بلاهوته الأزلي الذي من جوهر الأب.

ويرد القديس اثناسيوس على هذه التصورات والآراء الخيالية، ويوضح الايمان السليم فيما يخص علاقة لاهوت المسيح بناسوته. وهذه الرسالة صارت لها شهرة كبيرة عند آباء الكنيسة في القرنين الرابع والخامس ويستند اليها القديس ايبفانيوس في الرد على بدعة ابوليناريوس، كما كانت مرجعاً يستند إليه في مواجهة بدعة نسطور في القرن الخامس، ولما حاول النساطرة أن يزيفوا نص هذه الرسالة بحيث يؤدي إلى خدمة بدعتهم، فان القديس كيرلس الاسكندري كشف تزييفهم (في رسالة 40) وأظهر النص السليم لها.

رسالة أبينا القديس اثناسيوس الرسولي

إلى ابكتيتوس

ضد الهرطقة

إلى سيدي وأخي المحبوب، المشتاق إليه جداً، وشريكي في الخدمة ابكتيتوس، اثناسيوس يرسل تحياته في الرب.

(1) كنت أظن أن كل كلام بطل لجميع الهرطقة مهما كان عددهم قد توقف، منذ المجمع الذي انعقد في نيقية. لأن الايمان المعترف به في هذا المجمع من الآباء، بحسب الكتب الالهية، كاف لطرد كل كفر خارجاً، ولتوطيد ايمان التقوى في المسيح.

ولذلك فقد اقيمت في هذه الأونة، مجامع مختلفة في كل من الغال (فرنسا) واسبانيا وروما العظمى، وجميع المجتمعين - كما لو كان يحركهم روح واحد - حرّموا بالاجماع، اولئك الذين كانوا لا يزالون وهم مستترون، يعتقدون بأراء أريوس وأولئك الاشخاص هم: اوكسنطيوس من ميلانو، واورساكيوس وفالنس وغاريوس من بانونيا.

وجميع هؤلاء المجتمعين كتبوا في كل مكان (اذ لأن مثل هؤلاء الرجال يخترعون اسماء مجامع لمساندتهم) ألا يذكر اسم أي مجمع في الكنيسة الجامعة سوى ذلك المجمع وحده الذي عقد في نيقية الذي كان انتصاراً عظيماً على كل هرطقة، لا سيما الهرطقة الأريوسية - والتي بسببها - في الحقيقة اجتمع ذلك المجمع وقتئذ.

فكيف اذن بعد هذه الأمور، لا يزال البعض يحاول أن يثير مجادلات أو تساؤلات؟ فلو كانوا ينتمون إلى الأريوسيين فلا يكون هناك غرابة في الأمر، إذا كانوا يذمون ما كتب ضدّهم، مثلهم مثل اليونانيين الذين حينما يسمعون القول "أصنام الأمم فضة وذهب عمل أيدي الناس" (1) فانهم يعتبرون التعليم الخاص بالصليب الالهي جهالة.

أما الذين يريدون أن يبحثوا كل شيء عن طريق اثاره الاسئلة، فان كانوا من الذين يظنون انهم يؤمنون، وانهم يحبون ما جاهر به الآباء، فانهم لا يعملون شيئاً آخر سوى ما جاء في الكتاب "انهم يسقون صاحبهم حثالة الخمر" (2) وينازعون حول ما هو غير نافع، أو ما يؤدي إلى هدم المستقيمين.

(2) انني أكتب هذا، بعد اطلاعي على المذكرات التي كتبتها قدسك، التي ما كان يجب أن تكتب كي لا يكون هناك ذكر لهذه الأمور لمن يأتون بعدنا. لأن من سمع بمثل هذه الأمور قط؟ من هو الذي علم هذا أو تعلمه؟ "لأنه من صهيون ستخرج

(1) مز 115 : 4.

(2) حب 2 : 15.

شريعة الله، ومن اورشليم كلمة الرب" (3) ولكن من أين خرجت هذه الأمور، واي عالم سفلي تقياً القول بأن الجسد الذي من مريم هو من نفس جوهر لاهوت الكلمة؟ أو بأن الكلمة قد تحول إلى لحم وعظام وشعر وكل الجسد، وتغير عن طبيعته الخاصة؟ أو من سمع في الكنيسة أو بين المسيحيين على العموم، بأن الرب لبس جسداً خيالياً وليس طبيعياً؟ أو من كفر إلى مثل هذه الدرجة حتى يقول وهو في نفس الوقت يعتقد أيضاً بأن اللاهوت ذاته الذي من نفس جوهر الآب، قد صار ناقصاً خارجاً من كامل، والذي سمر على الخشبة لم يكن هو الجسد بل هو جوهر الحكمة الخالق ذاته؟ أو من سمع بأن الكلمة حول إلى نفسه جسداً قابلاً للتألم، ليس من مريم بل من جوهره الذاتي. فهل يمكن أن يدعى مسيحياً من يقول هذا؟ أو من الذي اخترع هذا الكفر الشنيع، حتى يدور في مخيلته أن من يعلم بأن جسد الرب هو من مريم انما يعتقد انه لا يوجد في اللاهوت ثالث فقط بل ربوع. لذلك فالذين يكفرون هكذا، يقولون أن الجسد الذي لبسه المخلص من مريم، انما هو من جوهر الثالث. ومرة أخرى، فمن اين تقياً البعض ذلك الكفر المساوي للكفر السابق ذكره، حتى يقولون بأن الجسد ليس أحدث من لاهوت الكلمة، بل هو مساو له في الأزلية وهو معه على الدوام، حيث انه قد تكون من جوهر الحكمة؟

أو كيف يتجاسر أولئك الذين يدعون مسيحيين، أن يشكوا فيما إذا كان الرب المولود من مريم بينما هو ابن الله بالجواهر والطبيعة فانه من نسل داود من جهة الجسد ومن جسد القديسة مريم؟

أو من هم هؤلاء الذين تجاسروا هكذا حتى يقولوا، بأن المسيح المتألم بالجسد والمصلوب، ليس هو الرب والمخلص والإله وابن الآب.

أو كيف يريدون أن يدعوا مسيحيين هؤلاء الذين يقولون بأن الكلمة قد حل على انسان قديس كما كان يحل على أي واحد من الأنبياء، ولم يصر هو نفسه (الكلمة) انساناً باتخاذ الجسد من مريم، (ويقولون) أن المسيح هو شخص وان كلمة الله الموجود قبل مريم، وهو ابن الآب من قبل الدهور، هو شخص آخر؟

أو كيف يمكن أن يكونوا مسيحيين، الذين يقولون أن الابن هو شخص، وكلمة الله شخص آخر؟

(3) هذه هي التساؤلات المشار اليها في المذكرات، وهي رغم تباينها، لكنها تحوي فكراً واحداً يهدف بفاعليته نحو عدم التقوى. ولأجل هذه الأمور، كان الذين يتفاخرون باعتراف الآباء في المجمع المنعقد في نيقيا، يتجادلون ويتطاحنون بعضهم مع بعض.

ولكني تعجبت لمعاناة واحتمال تقواكم، وان قدسكم لم يوقف هؤلاء الذين يقولون هذه الاشياء، بل شرحت لهم الايمان المستقيم، حتى إذا سمعوا يهدأون، أما إذا قاوموا فانهم يعتبرون هراطقة. لأن ما قالوه لا يمكن أن يقال أو يسمع من مسيحيين، بل هي

أقوال غريبة من كل ناحية عن التعليم الرسولي. لذلك، وكما سبق أن قلت، قد ادرجت في رسالتي، ما قاله هؤلاء، وذلك فقط لكي يدرك كل من يسمع، ما تحويه من عار وكفر ورغم انه كان من اللازم أن نتهم ونفضح بشدة حماقة اولئك الذين اعتقدوا مثل تلك الأفكار. ولقد كان من المستصوب أن يكتفي خطابي بهذه الكلمات فلا أكتب أكثر من ذلك لأنه ليس من الواجب ممارسة واختبار مثل تلك الأمور التي من الواضح انها شريرة هكذا جهاراً، لئلا تبدو بالنسبة للمتنازعين كأنها أمور محتملة، فانه يكفي أن أقول مجيباً على مثل تلك الأقوال بما يلي:

يكفي أن هذا تعليم الكنيسة الجامعة، ولا أعتقد الآباء بهذه الأمور. ولكن لئلا، يجد "المبتدعون شروراً" حجة لصفافتهم بسبب صمتنا التام، فانه حسن أن نذكر بعض الأقوال من الكتب الالهية، وبالتأكيد، بعد أن يخلجوا، فانهم يكفون عن هذه الحيل النجسة.

(4) من أين طراً عليكم يا هؤلاء، أن تقولوا أن الجسد واحد في الجوهر مع لاهوت الكلمة. (لأنه من الحسن أن نبدا بهذه النقطة لكي عندما يظهر أن هذا الرأي غير سليم، فان جميع الآراء الأخرى أيضاً تتضح انها غير سليمة كذلك). كما أن ما يقولونه لا يوجد منه شيء في الكتب الالهية.

وهم يقولون أن الله قد صار في جسد بشري. أما الآباء الذين اجتمعوا في نيقية فقد قالوا أيضاً أن الابن نفسه - وليس الجسد - هو من نفس جوهر الأب (أو واحد من الأب في الجوهر)، وانه بينما هو (الابن) من جوهر الأب، فانهم اعترفوا أيضاً بحسب الكتب، بأن الجسد هو من مريم.

فإما أن تنكروا اذن، المجمع المنعقد في نيقيا، وكهراطقة تجلبون تعليماً بالاضافة إلى (ما قرره المجمع)، وإما، إن اردتم أن تكونوا أبناء الآباء، فلا تعتقدوا بغير ما كتبه هؤلاء الآباء.

ومن هذا أيضاً تستطيعون أن تروا كم هو سخيّف هذا الرأي: فانه لو كان الكلمة من نفس جوهر الجسد الذي هو من طبيعة أرضية، في حين أن الكلمة هو من نفس جوهر الأب، بحسب اعتراف الآباء، فان الأب نفسه أيضاً يكون من نفس جوهر الجسد الصائر من الأرض. فلماذا تلومون الأريوسيين الذين يقولون أن الابن مخلوق، وانتم انفسكم تزعمون أيضاً أن الأب من نفس جوهر المخلوقات، فأنتم تذهبون بعيداً إلى كفر آخر، مدعين أن الكلمة تحول إلى لحم وعظام، وشعر وأعصاب والجسد كله، وانه تحول عن طبيعته الخاصة. لقد حان الوقت لكم، لكي تقولوا علانية، انه قد صار من الأرض، لأن طبيعة العظام بل والجسد كله من الأرض. اذن ماذا يكون هذا الهذيان حتى تتشاجروا فيما بينكم أيضاً؟ لأن الذين يقولون أن الكلمة هو من نفس جوهر الجسد، انما "يقصدون الواحد عندما يشيرون للآخر".

اما الذين يحولون الكلمة إلى جسد فانهم يتخيلون تغيير الكلمة ذاته. ومن سيظل يحتملكم اذن، وانتم تتشدقون بهذه الأقوال. فأنتم انحرقتم إلى الكفر أكثر من كل هرطقة.

لأنه لو كان الكلمة من نفس جوهر الجسد، فإن ذكر مريم وضرورتها يكونان أمرين لا لزوم لهما، إذ انه كان من المستطاع أن يكون موجوداً ازلياً قبل مريم، كما أن الكلمة ذاته ازلي أيضاً. فلو كان الكلمة حقاً من نفس جوهر الجسد حسبما تقولون. فأية حاجة كانت هناك لكي يقيم الكلمة بيننا، لكي يلبس ما هو من نفس جوهره الخاص، أو أن يتحول عن طبيعته الذاتية فيصير جسداً؟ لأن اللاهوت لم يأت لمساعدة نفسه حتى يلبس ما هو من نفس جوهره، كما أن الكلمة لم يخطئ في شيء وهو يفندي خطايا الآخرين، حتى يصير جسداً ويقدم ذاته ذبيحة لأجل نفسه ويفندي نفسه.

(5) لكن حاشا له أن يكون هكذا. لأنه كما يقول الرسول "جاء لمساعدة" (4) نسل ابراهيم من ثم كان ينبغي أن يشبه اخوته في كل شيء" ويتخذ جسداً مشابهاً لنا. ولهذا السبب أيضاً كانت مريم في الحقيقة مفترضة من قبل (5). ليأخذ الكلمة منها (جسداً) ويقدمه من أجلنا كذاته.

وقد أوضح اشعيا هذا متنبئاً فقال: "ها هي العذراء" (6) وأرسل الله جبرائيل اليها، ليس إلى مجرد عذراء، بل "إلى عذراء مخطوبة لرجل" (7) لكي يتبين من كونها مخطوبة، أن مريم كائن بشري بالحقيقة. ولهذا السبب ذكر الكتاب أيضاً انها ولدته، وانها "قمطته" (8) ولذلك فإن التديين اللذين رضعهما، يعتبران مباركين. (9) وقد قدم ذبيحة، لأنه بولادته فتح الرحم (10) وهذه كلها براهين على أن العذراء هي التي ولدته.

وجبرائيل حمل اليها البشارة بيقين كامل ولم يقل مجرد "المولود فيك"، حتى لا يظن أن الجسد غريب عنها ومجلوب اليها من الخارج، بل قال "المولود منك" لكي يعتقد الجميع أن المولود خارج منها. إذ أن الطبيعة تبين هذا بوضوح، فمن المستحيل على عذراء أن تدر لبناً أن لم تكن قد ولدت. ومن المستحيل أن الجسد يتغذى باللبن ويقمط أن لم يكن قد ولد بصورة طبيعية قبل ذلك.

وهذا هو المقصود بالختم في اليوم الثامن بعد ولادته: أن سمعان تلقاه في احضانه وهذا يدل على انه قد صار طفلاً، وانه نما حتى صار له من العمر اثنتا عشر سنة (11) إلى أن بلغ الثلاثين عاماً (12). وليس كما يظن البعض أن جوهر الكلمة نفسه

(4) أي يمسك نسل ابراهيم (انظر عب 2 : 16، 17).

(5) كانت متضمنة في خطة الخلاص في قصد الله ليأخذ منها الكلمة جسداً.

(6) اش 7 : 14.

(7) لو 1 : 27.

(8) لو 2 : 7.

(9) قارن لو 11 : 27.

(10) انظر لو 2 : 23.

(11) انظر لو 2 : 21 - 42.

(12) انظر لو 3 : 23.

قد ختن بعد أن تحول. لأنه لا يقبل التحول ولا التغيير. لأن المخلص نفسه يقول "انظروا، انظروا، لأنني أنا هو، وأنا وما تغيرت" (13).

أما بولس فيكتب قائلاً: "يسوع المسيح هو هو بالأمس واليوم والى الأبد" (14) ولكن كلمة الله غير المتألم والذي بلا جسد، كان في الجسد الذي ختن وحمل، والذي أكل وشرب، والذي تعب، والذي سمر على الخشبية وتألم.

هذا الجسد هو الذي وضع في قبر - عندما تخلى عنه الكلمة - ولكن لم ينفصل عنه - وذلك "ليكرز للأرواح التي في السجن" كما يقول بطرس (15).

(6) وهذا يبين بالأكثر، هوس الذين يقولون أن الكلمة قد تحول إلى عظام ولحم - فلو كان الأمر كذلك، لما كانت هناك حاجة إلى قبر، ولكن الجسد ذاته قد مضى بنفسه ليكرز للأرواح التي في الهاوية. أما الآن فإنه مضى هو بنفسه ليكرز، أما الجسد فبعد أن كفنه يوسف بالكتان (16)، وضعه في الجلجثة. وهكذا اتضح أن الجسد لم يكن هو الكلمة، وإنما هو جسد الكلمة. وأنه عندما قام الجسد من بين الأموات لمسه توما ورأى فيه آثار المسامير (17) التي احتملها الكلمة ذاته، ولما رآها (توما) مخترقة جسد (الكلمة) ذاته، والتي كان في استطاعته أن يمنعها ولكنه لم يمنعها، بل بالعكس فإن الكلمة الذي بلا جسد خصص لنفسه خصائص الجسد باعتباره جسده ذاته. ناهيك عن الجسد الذي ضربه العبد، فإن الكلمة تألم وقال "لماذا تضربني" (18) ورغم أن الكلمة بطبيعته لا يمكن لمسه، إلا أنه قال "أسلمت ظهري للسياط، وخدي للطمات، ولم ارد وجهي عن خزي البصقات" (19).

لأن تلك الأشياء التي كان يتألم منها، جسد الكلمة، البشري، كان الكلمة الذي سكن في الجسد ينسبها لنفسه، لكي نستطيع نحن أن نشترك في لاهوت الكلمة.

ومن الغريب، أن الكلمة نفسه كان متألماً وغير متألم، فمن ناحية، كان (الكلمة) يتألم لأن جسده هو الذي كان يتألم وكان هو المتألم فيه، ومن الناحية الأخرى، لم يكن الكلمة يتألم، لأن الكلمة - إذ هو اله بالطبيعة - فهو لا يقبل التألم. وكان الكلمة غير الجسدي موجوداً في الجسد الذي يتألم، وكان الجسد يحوي فيه الكلمة غير المتألم الذي كان يببب العلل التي قبلها في جسده. وكان يصنع هذا، وهكذا كان يصير، كي، بعد أن يأخذ ما لنا (اي الجسد) ويقدمه كذبيحة، يقضي على (العلل والضعفات) كلها. وهكذا

(13) ملاخي 3 : 6.

(14) عب 13 : 8.

(15) 1بط 3 : 19.

(16) قارن مر 15 : 46.

(17) قارن يو 20 : 25.

(18) يو 18 : 23.

(19) أش 50 : 6.

يلبسنا ما له، وهذا ما يجعل الرسول يقول: "لأن هذا الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد، وهذا المائت يلبس عدم موت"⁽²⁰⁾.

(7) وهذه الاشياء لم تحدث بالظن، حاشا! كما يفترض البعض، ايضاً: بل في الواقع فانه بصيرورة المخلص انساناً بالحقيقة، صار الخلاص للانسان كله.

فلو كان الكلمة في الجسد بمجرد الظن، كما يقول اولئك، فان هذا الظن يكون ضرباً من الخيال، وبناء على ذلك فان خلاص الإنسان وقيامته يعتبران مجرد ادعاء غير حقيقي، بحسب ما يقول ماني أشد الكافرين.

الا أن خلاصنا، في واقع الأمر، لا يعتبر خيالياً، فليس الجسد وحده هو الذي حصل على الخلاص، بل الإنسان كله في نفس وجسد حقاً، قد صار له الخلاص في الكلمة ذاته.

وهكذا فان المولود من مريم هو بشري بالطبيعة، بحسب الكتب الالهية. وان جسده هو جسد حقيقي، وهو حقيقي لأنه هو نفس جسدنا، حيث أن مريم هي اختنا، لأننا نحن جميعاً (هي ونحن) ايضاً من آدم.

ولا يجب أن يرتاب أحد في هذا، حينما يتذكر ما كتبه لوقا. لأنه بعد القيامة من بين الأموات، ظن البعض انهم لم يشاهدوا الرب في الجسد المأخوذ من مريم، بل ظنوا بدلاً من هذا انهم نظروا روحاً، فكتب لوقا يقول: "انظروا يدي ورجلي" ومواضع المسامير، اني انا هو، جسوني وانظروا فان الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي، وعندما قال هذا، أراهم يديه ورجليه"⁽²¹⁾. ومن هذا الكلام نستطيع أن نفند كلام الذين يتجاسرون مرة اخرى أن يقولوا أن الرب قد تغير إلى لحم وعظام لأنه لم يقل كما تشاهدونني وأنا لحم وعظام - بل قال "كما ترون انه لي" لكي لا يعتقد أحد بأن الكلمة نفسه قد تحول إلى هذه الاشياء (لحم وعظام)، بل لكي يؤمن انه كان له هذه الاشياء قبل الموت، وبعد القيامة.

(8) واذ قد تم اثبات هذه الاشياء هكذا، فانه يكون من نافلة القول أن نتعرض للموضوعات الأخرى، وندخل في جدل حولها، اذ أن الجسد الذي كان فيه الكلمة لم يكن من نفس جوهر اللاهوت، بل هو حقاً مولود من مريم. والكلمة نفسه لم يتحول إلى عظام ولحم بل قد صار في الجسد. لأن ما قيل في انجيل يوحنا "الكلمة صار جسداً"⁽²²⁾ له هذا المعنى، كما يمكن أن نجد هذا في موضع مشابه، فقد كتب بولس "المسيح صار لعنة لأجلنا"⁽²³⁾. وكما انه لم يصير هو نفسه لعنة، بل قيل انه قد صار لعنة لأنه احتمل اللعنة من اجلنا، هكذا ايضاً، فانه قد صار جسداً لا بتحوله إلى جسد، بل باتخاذ

(20) 1كو 15 : 53.

(21) لو 24 : 39، 40.

(22) يو 1 : 14.

(23) غلا 3 : 13.

لنفسه جسداً حياً من أجلنا، وصار انساناً. لأن القول "الكلمة صار جسداً" هو مساو أيضاً للقول "الكلمة صار انساناً". حسب ما قيل في يوثيل "اني سأسكب من روحي على كل جسد" (24) لأن الوعد لم يكن ممتداً إلى الحيوانات غير الناطقة بل هو للبشر الذين من أجلهم قد صار الرب انساناً.

وبما أن هذا هو معنى النص المشار إليه، فانهم يدينون انفسهم اولئك الذين يظنون أن الجسد المولود من (مريم) كان موجوداً قبل مريم، وان الكلمة كانت له نفس بشرية قبلها (قبل مريم) وان هذه النفس كانت فيه دائماً حتى قبل مجيئه. وهكذا سيكف ايضاً الذين يقولون أن الجسد لم يكن قابلاً للموت، وانه كان من طبيعة غير مائتة. لأنه لو لم يكن قد مات، فكيف اذن سلم بولس إلى الكورنثيين ما قبله هو ايضاً: "ان المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب" (25) وكيف قام مطلقاً أن لم يكن قد مات ايضاً؟ وسيحمر بالخبيل العظيم كل من يدور في مخيلته عموماً أي احتمال لأن يكون هناك رابوع بدلاً من ثالث، وذلك في حالة القول أن الجسد انما هو من مريم.

فهم يزعمون اننا نقول، أن الجسد من نفس جوهر الكلمة، وهكذا يبقى الثالث ثلوثاً. لأنه لا يكون هناك شيء غريب قد أضيف إلى الكلمة، ولكن أن قلنا أن الجسد المأخوذ من مريم انما هو بشري، فمن الضروري حيث أن الجسد غريب في جوهره عن الكلمة، حيث أن الكلمة كائن فيه، فانه بسبب اضافة الجسد فان هذا يجعل هناك رابوعاً بدل من ثالث (حسب ظنهم).

(9) أن الذين يتناولون هذه الأمور بهذه الطريقة، لا يدركون انهم يقعون في تناقض مع انفسهم، لأنهم حتى وان قالوا أن الجسد ليس من مريم بل انه من نفس جوهر الكلمة، (وهذا ما يتظاهرون انهم يفكرون به، وذلك لكي لا يظهر حقيقة ما يفكرون به)، فانه بحسب تفسيرهم هذا، يمكننا أن نوضح انهم يقولون برابوع. لأنه كما أن الابن، بحسب الآباء، هو من نفس جوهر الآب، وليس هو الآب نفسه، بل يقال انه ابن من نفس جوهر الآب، هكذا جسد الكلمة (الذي يقولون) انه من نفس جوهر الكلمة لا يكون هو الكلمة ذاته بل هو آخر بالنسبة إلى الكلمة. ولكونه آخر (غير الكلمة)، فانه بحسب رأيهم يكون ثالثهم رابوعاً.

لأن الثالث الحق، والكامل بالحقيقة، وغير المنفصل لا يقبل اضافة، بل أن فكرة (الاضافة) قد اختلقها هؤلاء الاشخاص.

وكيف يمكن أن يظنوا مسيحيين اولئك الذين يخترعون الهاً آخر مختلفاً عن الاله الكائن. ومرة أخرى فانه في الامكان أن نرى في سفسطهم الأخرى منتهى الحماسة.

لأنهم يظنون أنه بسبب ما هو موجود في الكتب وما قيل فيها من أن جسد المخلص هو من مريم وانه بشري، فانهم يعتبرون بذلك أن هناك رابوعاً بدلاً من

(24) يوثيل 2 : 28.

(25) 1كو 15 : 3.

ثالثاً، كما لو كانت قد حدثت إضافة بسبب الجسد، وهكذا فإن الذين يساؤون الخالق بالخلقية يضلون كثيراً، إذ انهم يتوهمون بأنه من الممكن أن يقبل اللاهوت إضافة. وعجزوا أن يدركوا، أن الكلمة صار جسداً، وليس لأجل إضافة (شيء ما) إلى اللاهوت، بل من أن أجل أن ينال الجسد قيامة. ولم يأت الكلمة من مريم لكي يرتقي هو، بل لكي يفدي الجنس البشري. فكيف إذن يفكرون أن الجسد هو الذي افتداه الكلمة واحياه، يقوم بإضافة شيء ما من ناحية اللاهوت إلى الكلمة الذي احياه؟ بل بالعكس فإن الجسد البشري ذاته هو الذي حدثت له زيادة كبيرة، بسبب شركة الكلمة معه واتحاده به، لأنه (الجسد) صار غير مائت بعد أن كان مائتاً، ورغم أن الجسد كان حيوانياً (نفسانياً) فقد صار روحانياً، ورغم انه من تراب الأرض فقد اجتاز الأبواب السماوية.

اذن فالثالوث هو ثالثاً، رغم أن الكلمة حصل على جسد من مريم، والثالوث كامل لا يقبل زيادة ولا نقصاناً، ولا نعرف الا لاهوتاً واحداً في الثالوث، وهكذا يركز في الكنيسة باله واحد هو أب الكلمة.

(10) ومن أجل هذا فسيصمت أولئك الذين سبق أن قالوا أن الذي جاء من مريم ليس هو المسيح والرب والاله. لأنه لو لم يكن الهاً في الجسد، فكيف بمجرد ولادته من مريم دعي "عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا" (26) وايضاً لو لم يكن هو الكلمة في الجسد، فكيف كتب بولس إلى اهل رومية: "ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل الهاً مباركاً إلى الأبد آمين" (27). وأولئك الذين سبق لهم أن انكروا أن المصلوب هو اله، فليعترفوا بانهم قد اخطأوا، لأن الكتب الالهية تحضهم - وبنوع خاص - توما، الذي بعد أن رأى فيه آثار المسامير، صرخ قائلاً "ربي والهي" (28) لأن الابن اذ هو الله ورب المجد، كان في الجسد الذي سمر واهين بخزي، أما الجسد فكان يتألم وهو مطعون على الخشبة، وكان يسيل من جنبه (لمطعون) دم وماء، ولكن بسبب انه كان هيكل الكلمة بالحقيقة، فقد كان مملوءاً من اللاهوت. ولهذا السبب اذن عندما رأت الشمس خالقها وهو يتألم في الجسد المهان، سحبت اشعتها، واطلمت الأرض ولكن الجسد نفسه، وهو من طبيعة مائتة، قام بطبيعة تفوق طبيعته بسبب الكلمة الذي فيه، وتوقف فساده (اضمحلاله) الطبيعي، واذ قد لبس الكلمة الذي هو فوق الإنسان، فانه صار غير فاسد (غير مضمحل).

(11) أما بخصوص ما يتخيله بعض (الناس) الذين يقولون انه كما صار الكلمة إلى كل واحد من الانبياء، هكذا جاء (الكلمة) إلى انسان واحد معين هو الذي ولد من مريم، فمن العبث أن نجادل هذا القول، حيث أن جنونهم يحوي في طياته دينونته الواضحة لأنه لو كان قد جاء بهذه الطريقة، فلماذا جاء هذا الإنسان من عذراء ولم يولد

(26) مت 1 : 23.

(27) رو 9 : 5.

(28) يو 20 : 28.

هو ايضاً من رجل وامرأة؟ فان جميع (الانبياء) القديسين ولدوا هكذا (من رجل وامرأة) أما وقد وجاء الكلمة هكذا (من عذراء)، فلماذا لا يقال أن موت كل واحد (من الانبياء) قد حدث لأجلنا، بل (يقال هذا فقط) على موت هذا الإنسان وحده؟ وان كان الكلمة قد سكن بيننا لفترة قصيرة، والانبياء مثله قد أقاموا ايضاً فترة على الأرض، فلماذا يقال عن المولود من مريم وحده، انه استوطن بيننا "مرة واحدة عند انقضاء الدهور" (29) وان كان قد جاء هو، كما سبق أن جاء في القديسين (الذي قبله)، فلماذا مات جميع هؤلاء القديسين الآخرين ولم يقوموا بعد، في حين أن المولود من مريم وحده، قام في خلال فترة ثلاثة أيام؟

وان كان الكلمة قد جاء بطريقة مماثلة لتلك التي (سبق) أن جاء بها في الآخرين، فلماذا يدعى المولود من مريم وحده، عمانوئيل، أي الذي ولد منها جسداً مملوءاً بالألوهية؟ لأن عمانوئيل تفسيره "الله معنا".

وان كان قد جاء هكذا (أي بنفس الطريقة التي جاء بها في الانبياء) فلماذا لا يقال عن كل واحد من (الانبياء) القديسين، عندما كان يأكل ويشرب ويتعب ويموت، أن (الكلمة) نفسه أكل وشرب وتعب ومات، بل يقال هذا فقط عن المولود من مريم وحده؟ لأن ما تألم به هذا الجسد (جسد الكلمة) يعتبر أن الكلمة قد تألم به.

وبينما يقال عن الآخرين انهم فقط ولدوا متناسلين يقال في حالة المولود من مريم وحده أن "الكلمة صار جسداً" (30).

(12) من كل هذا تبين أن الكلمة جاء إلى جميع الآخرين (الانبياء) لكي يتنبأوا، أما الكلمة نفسه الذي ولد من مريم فقد اتخذ منها جسداً وصار انساناً، إذ هو بطبعه وجوهره كلمة الله، أما من جهة الجسد فهو انسان من نسل داود ومن جسد مريم كما قال بولس (31).

وقد أظهره الآب في الأردن وعلى الجبل قائلاً "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت" (32) والأريوسيون أنكروه، أما نحن فنعترف به ونعبده ولا نفصل الابن عن الكلمة، بل نعرف أن الابن هو نفسه الكلمة، الذي به قد كان كل شيء، والذي به افتدينا نحن.

ولهذا السبب دهشنا حقاً أن يحدث بينكم نزاع على الاطلاق حول هذه الأمور الواضحة جداً. ولكن شكراً للرب، انه بقدر ما حزننا عند قراءة مذكراتكم، بقدر ما فرحنا بما انتهت إليه (هذه المذكرات). لأنهم مضوا بعد اتفاق وتصالح على الاعتراف بالايمان الارثوذكسي الحسن العبادة (التقوى).

(29) عب 9 : 26.

(30) يو 1 : 14.

(31) انظر رو 1 : 3.

(32) متى 3 : 13.

وهذا في الواقع ما دفعني ايضاً أن اكتب هذه الكلمات القليلة بعد أن أمعنت الفكر كثيراً أولاً، خوفاً من أن يسبب صمتي ألماً بدلاً من الفرح لأولئك الذين سببوا لنا فرحاً باتفاقهم معنا. لذلك أرجو أولاً من قداستكم وثانياً من المستمعين لهذه الرسالة أن يتقبلوا ما فيها من كلمات بضمير نقي، وان كان فيها أي عجز من جهة التقوى فأرجو أن تصوبوه وتفيدوني، اما أن كنت قد كتبت كانسان عامي في الكلام⁽³³⁾، أو أن كان الحديث غير جدير أو غير كامل، فاستمبحكم جميعاً عذراً بسبب ضعفي في التعبير.

سلم على جميع الأخوة الذين معك. وكل الذين معي يسلمون عليك، ولتكن حياتك في الرب في تمام الصحة، ايها المحبوب والمشتاق إليه جداً.